



AZAD ART GALLERY

Azad Art Gallery  
4 Mohamed Anis st, Zamalek, Cairo, Egypt.  
+20 100 3270364  
info@azad-artgallery.com

## طه القرني

مشهد بانورامي لحشد كبير من البشر تبدو عليهم علامات الجوع، رُسم المشهد بمنظور عين الطائر ويمتد عرضاً إلى عشرة أمتار وارتفاع مترين. في هذا المشهد البناس تتحلق كل مجموعة من هؤلاء التُعاء حول إناء للطعام، كما يتطلعون جميعاً إلى أعلى. يُذكرنا المشهد بصور المجاعات والجفاف في أفريقيا التي أصابت العديد من المناطق جنوب الصحراء الكبرى، خاصة خلال حقبة الثمانينيات والتسعينيات. الصور التي كانت تتلقفها وسائل الإعلام الدولية حينئذ كانت في غاية القسوة ومؤلمة للضمير الإنساني. قد لا ينتمي المشهد في لوحة الفنان طه القرني لأفريقيا بالضرورة، إذ صارت مشاهد البؤس ماثلة أمامنا اليوم في أماكن كثيرة من العالم، نتيجة للحروب والصراعات والأزمات الاقتصادية، وغيرها من المحن الأخرى المحيطة بالإنسانية. أمام كل هذه التحديات التي تحيق بنا تقفز إلى الأذهان لأول مرة تساؤلات متعلقة بمصيرنا المشترك، وتراجع الاختلافات والفروق فيما بيننا لصالح أطروحات أخرى متعلقة بالإنسانية، طالما كانت تتردد سابقاً على نحو خافت، لكنها اليوم صارت أكثر وضوحاً وقوة، فنحن بلا شك على مشارف مرحلة مصيرية من تاريخنا البشري.

يرصد الفنان طه القرني كل هذه التحديات والانعطافات البشرية الحادة ويعكسها عبر لوحته البانورامية الكبيرة التي تحمل اسم "الجوع" وهو عنوان قاس يليق بالمشهد الذي أمامنا. ربما تقدم لنا اللوحة لمحة بصرية شديدة الإيجاز والتلخيص لما بعد الكارثة، فإذا ما عجزنا عن حل كل هذه المعضلات التي تواجهنا جميعاً هذا المصير المُقبض. علماء البيئة في كل مكان لا يكفون عن التحذير من النتائج الوخيمة على مصيرنا وجنسنا البشري، إذا لم نسارع بحل هذه المشكلات من الآن، وتتواتر بين الحين والآخر نتائج لأبحاث علمية ترسم صوراً قاتمة لما سوف يحدث. ما فعله الفنان طه القرني في هذه اللوحة أنه جسد هذه الصور بكل بشاعتها في عمل واحد، ووضع أمامنا لمحة بصرية لما يمكن أن ينتظرنا.

### عمل استثنائي

نحن هنا أمام عمل مختلف إذا ما قورن بأعمال الفنان طه القرني السابقة، هذه الأعمال المُتخمة بالدرجات اللونية، والزخرفة بمئات العناصر والأشكال. في هذه اللوحة يبدو النقشف في استخدام اللون لافتاً، فنحن أمام ثلاث درجات لونية أو أربعة منها على الأكثر، تتمايز فيما بينها ثلاث عناصر أو طبقات، تتداخل هذه الطبقات والعناصر وتشتبك على سطح العمل مُشكلة لمعالمه الرئيسية. أول هذه العناصر أو الطبقات هي الخلفية، وهي هنا بحكم طبيعة المنظور العلوي للمشهد تتمثل في الأرض الجافة اليابسة والملينة بالتشققات، وهي خلفية ذات لون حيادي رمادي، ما يتيح الفرصة لبقية العناصر الأخرى للظهور إلى الواجهة. الطبقة الثانية من العناصر يمثلها هؤلاء الأشخاص المنسحقون تحت وطأة الضعف والاستكانة، وأغلبهم يتطلعون إلى أعلى في تضرع. وثمة كائنات أخرى تتحرك بين هؤلاء، لا يقل حالها بؤساً عن هذه الأجساد البشرية المنسحقة تحت وطأة الجوع، بينما تتناثر بين الفراغات بقايا طعام وعظام. يتخلل هذا الاشتباك البشري لون مشرق لانية طعام فارغة ذات أشكال مستديرة تميل إلى الدرجات النحاسية أو الذهبية، وهي تمثل العنصر الثالث. وثمة عنصر آخر هنا حاضر بقوة رغم غيابه عن المشهد، لكنه يمثل بؤرة الحدث أو الانفعال في هذه اللوحة، هذا العنصر الغائب الحاضر هو من تتوجه إليه هذه العيون المحدقة والمتطلعة نحو الأعلى. يمكن أن نُحيلنا هذه النظرة المتطلعة للأعلى بالطبع إلى السماء، بمدلولها الروحاني، الذي بات الملاذ الأخير لهذه الأفواء الجائعة. أو ربما يكون هذا الحاضر الغائب هو نحن.. من يتطلعون إلى هذه اللوحة. هذه الوجوه المرهقة والعيون المُحدقة تخبرنا حتماً عن مصيرنا وتحذرننا بما سيؤول إليه حالنا إذا ما غضضنا الطرف عن حتمية العمل معاً لمواجهة هذه التحديات المحيطة بنا.



AZAD ART GALLERY



AZAD ART GALLERY

Azad Art Gallery  
4 Mohamed Anis st, Zamalek, Cairo, Egypt.  
+20 100 3270364  
info@azad-artgallery.com

## طه القرني

في اللوحة ثمة إشارة مضافة، أو عنصر رابع يتمثل في دائرة كبيرة تحمل شعاراً لأحد الجوائز الدولية الشهيرة، بل ربما أهمها، وهي جائزة نوبل. ولجائزة نوبل رمزية إنسانية خاصة، فقد انبثقت فكرتها في الأساس من شعور صاحبها (ألفريد نوبل) الطاعي بالذنب أو المسؤولية الأخلاقية عن ضحايا الحروب والنزاعات، فكان تدشينه لهذه الجائزة نابع من رغبة لديه في تصحيح هذا الخطأ. تحيلنا الجائزة وملابسها وجودها إلى أهمية مخاطبة الضمير الإنساني، وهو من الأمور التي ربما تميز البشر عن بقية الكائنات الأخرى التي تتشارك معنا الحياة على هذا الكوكب.

نحن كيشر نضطلع بلا شك بمسؤولية إزاء هذا العالم، وعلينا أن نكون واعين لهذه المسؤولية، ومدركين أننا نعيش في عالم محدود الموارد، وهو ما يجب أن نلتفت إليه حقاً. فالعلم والتقدم التقني يتيحان لنا السيطرة على الطبيعة، أو ربما الهيمنة على الآخرين، ولكن يمكن لهما كذلك ابتداء حلول لأزماتنا، علينا فقط أن نعيد ترتيب أولوياتنا وتحديد المخاطر التي تُحيق بنا. إن الحضور اللافت لشعار نوبل في لوحة طه القرني يلفت انتباهنا لهذه الوظيفة المزدوجة والمتعارضة للعلم، وهو يتكرر بالباح ليذكرنا بهذا التناقض الذي يمكن أن ينطوي عليه التقدم التقني، فإما أن نوظفه لصالحنا أو أن يكون سبباً لفناننا.

### فراة التجربة

تنوج هذه اللوحة سنوات من البحث الدؤوب والتجارب المتلاحقة التي قدمها الفنان طه القرني خلال مسيرته الفنية. تجارب كثيرة قدمها الفنان تبرز بينها مشاريع عدة مرتبطة بحياة الناس، أعمال تتبع سيرة الملايين من المهمشين، في نشاطهم وسعيهم اليومي المرهق من أجل البقاء، كما في لوحته الشهيرة سوق الجمعة، والتي أعقبها بعدد من المشاريع الأخرى التي لا تقل أهمية عنها. في كل مرة يدهشنا الفنان بقدرته على جمع شتات هذه العناصر التي يشكل بها العمل، وسيطرته التامة على مساحة كبيرة للرسم لم يسبقه إليها أحد، وهو ما وثقته بالفعل واحدة من المؤسسات الدولية المشهود لها بذلك، إذ تم توثيق اللوحة بالفعل كأكبر عمل فني جداري على الإطلاق. وإذا تجاوزنا هذه القدرة التي يمتلكها الفنان طه القرني في التعامل مع هذه المساحات الكبيرة وجمع شتاتها في إطار واحد متجانس، أو الكيفية التي أنجزها بها، سندهشنا كذلك طريقته في معالجة مثل هذه المساحات وصوغه لتفاصيلها بمنتهى السلاسة، والسيطرة التامة على منات بل آلاف التفاصيل والعناصر التي تزدهم بها اللوحة، البارز منها والهامشي على السواء. يمكننا بسهولة أن ندلل على ذلك إذا ما اقتنعنا أي جزء من مساحة هذه اللوحة أو تلك لنجد أنفسنا أمام عمل مستقل ومتكامل العناصر، يتمتع بكل تفاصيل ومقومات اللوحة التصويرية.

خلافاً لكل ذلك تلفت انتباهنا بلا شك هذه المرونة التي تتمتع به تجربة طه القرني في انتقالها بين أطوار وأساليب بناء مختلفة. نعم، تطورت تجربة الفنان طه القرني مع السنوات، من أسلوب بناء صارم في التزامه بالتعاليم الأكاديمية خلال تجاربه الأولى، حتى وصوله إلى لوحته الأحدث "الجوع" المعروضة هنا، مروراً بتجاربه الأخرى التي نلمح خلالها كثيراً من إرهابات هذا التحول السلس في المعالجة والبناء. لا ندعي بالطبع أن طه القرني قد تخلى عن القواعد المدرسية في أعماله أو تجاوزها، لكنه من المؤكد أنه قد صار أكثر إدراكاً وحكمة في التعامل معها وتطويعها لتناسب أفكاره وأطروحاته.

يمثل عرض العمل الكبير والأحدث للفنان طه القرني إلى جانب نماذج من أعماله السابقة فرصة لتلمس ملامح هذه التجربة التصويرية، التي يمكن أن نصفها دون أن نكون مبالغين حقاً بالاستثنائية، فهي تجربة متفردة في ملامحها بلا شك، ليس لنزوعها نحو المساحات الكبيرة فقط، بل لقدرة صاحبها الفائقة في توظيف مهاراته في الرسم والاستيعاب المتقن للقواعد



AZAD ART GALLERY

## طه القرني

المدرسية في تصوير الجسم البشري والوجوه ضمن إطار جامع وذو دلالة، ناهيك عن هذه التحولات الأسلوبية في صوغ العناصر التي تخللت تجربته منذ حضوره اللافت على الساحة الفنية في مصر وحتى اليوم.

### اشتباك التفاصيل

تزخر لوحات الفنان طه القرني عادة بالكثير من التفاصيل؛ ولا شك أن هذا الازدحام والتشابك بين العناصر على سطح اللوحة يولد توتراً ينعكس على رؤيتنا ومشاعرنا تجاه أعماله التي أنتجها من هذا النوع، لكننا لا نشعر في حقيقة الأمر بوطأة هذا التشابك والازدحام، كونه يُحيلنا إلى عديد من التساؤلات وعلامات الاستفهام المرتبطة بموضوع اللوحة، فيتحول هذا التوتر الناجم عن اشتباك العناصر إلى فعل إيجابي يدفعنا إلى مزيد من التأمل.

يجب أن نشير هنا إلى أن الفنان طه القرني لديه القدرة لتسليط الضوء على عنصر من العناصر حتى لو كان هذا العنصر متوارياً في خلفية المشهد، فتمكنه من أدواته يؤهله لذلك، فبين عشرات بل ربما مئات الوجوه التي تحملها لوحاته الكبيرة نجد أن لكل عنصر من العناصر المرسومة حياته الخاصة وملامحه التي تميزه عن الآخر. ومن الأشياء اللافتة في تجربة طه القرني أنه يتعايش مع العمل قبل إنجازه أو تحققه رسماً على السطح، فقبل أن يبدأ في مشروعه الشهير مثلاً عن سوق الجمعة كان عليه الانغماس في حياة هؤلاء الناس في هذا السوق الكبير الذي يختلط فيه كل شيء، وتلتحم في ممراته أجساد البشر وهوياتهم. نتيجة لهذه المعيشة خرج طه القرني بعشرات الدراسات المسبقة لسوق الجمعة، بين لوحات ورسوم سريعة، وهذا لحرصه على دراسة كل عنصر من هذه العناصر ومقوماته البنائية الخاصة وفرادته اللونية والجسدية وتعبيرات وجهه المختلفة.

وإذا ما تتبعنا مسار التجربة الإبداعية عند طه القرني سنجد أن لهذه القدرة في التعامل مع المساحات الكبيرة إرهابات قديمة، قد تعود إلى طفولته وصباه البكر. كان الفنان طه القرني من الطلبة المميزين والفائقين في مادة التربية الفنية وهو صغير، وله تجربة قديمة في الرسم على الحائط بتشجيع وطلب من مديرة مدرسته الابتدائية. في هذه السن الصغيرة رسم طه القرني لوحة معبرة عن السلام على جدار أحد الشوارع الكائنة في مسار موكب الرئيس أنور السادات، أثناء مباحثات السلام التي كانت تجري في فندق قريب. لم يكن احتراف طه القرني للفن بمحض الصدفة إذاً، بل كان الأمر ضرورة ملحة لديه. وحين التحاقه بالفنون الجميلة إختار الدراسة في قسم الديكور، وهو الأمر الذي استفاد منه كما يقول في معالجة المساحات الكبيرة والسيطرة على المنظور وترتيب العناصر داخل العمل.

من بين المهارات التي يجيدها الفنان طه القرني قدرته على الرسم بأي خامة وعلى أي سطح، يضاف إلى ذلك قدرته الفائقة على توظيف المساحة التي يرسم عليها لخدمة الفكرة، أياً كانت هذه المساحة، صغيرة كانت أو كبيرة. في أعماله تكاد أن تتوزع نقاط الارتكاز والبطولة بين عناصر اللوحة جميعها، فلا مكان هنا للتفرد ببؤرة الضوء، فكل عناصره سواء، يحتل كل واحد منها دور البطولة، ولعل هذه الإشكالية هي التي كانت تواجهه منذ البداية حين قرر التصدي للتعبير عن هؤلاء المهمشين وجعلهم محور لوحاته، فكان كل همه أن يجعل كل واحد من هؤلاء بطلاً في أعماله. لذا نادراً ما تجد في لوحاته حضوراً بارزاً لشخصية عامة، إلا من بعض الشخصيات ذات الرمزية الدينية، كشخصية البابا ممثلاً للكنيسة، وشخصية شيخ الأزهر ممثلاً للأزهر الشريف. إلى جانب ذلك لا تخلو لوحاته عادة من الإسقاطات والإيحاءات الرمزية التي يوظفها كذلك بحرص شديد من دون مباشرة أو ادعاء.

## طه القرني

نحن هنا أمام تجربة فريدة وثرية في مجال التصوير، وهي تجربة تزخر بالعديد من نقاط القوة، بداية من تمكن صاحبها من أدواته إلى إيمانه الشديد بقدرة الفن على التغيير والتصدي لكافة القضايا التي تمس الشأن المحلي أو الدولي والإنساني على نحو عام.